أمران على الساحة المصرية لفتت النظر اليهما مقاومة حزب الله:

الموقف من الجيش المصري ومواصفات الحزب الناجح

هويدا طه *

■ لم تخف على أحد التلميحات الاعلامية والسياسية من جهات مختلفة ـ عربية ومصرية ـ ومن اعلاميين ومثقفين وسياسيين بأن أسطورة اسرائيل التي لا تقهر تم قهرها أخيرا من قبل المقاومة المستبسلة لمقاتلي حزب الله فيما فشلت فيه (الجيوش العربية)، والحق أن التدبر في هذه الملاحظة سواء صحيحة أو متحاملة سواء موضوعية أو متخابثة تجد أنها ليست (جيوشا) المقصودة بتلك التلميحات، وانما هي تحديدا (الجيش المصري)، وهذه نقطة تستحق وقفة ما منها على الساحة المصرية، شعبيا ونخبويا، نقطة أخرى تستحق أيضا على الساحة المصرية النظر اليها بأقصى تدبر للاستفادة منها، طالما أن (التغيير) هو أمر يلح في مصر رغم بطء خطوته وضياع وجهته لأسباب عديدة، هذه النقطة هي ببساطة الاجابة على التساؤل: لماذا نجح (حزب) في لبنان هو حزب الله في صنع هذه اللحظة الفاصلة في بلده بل وتجاوز نجاحه بلده الصغير الى أمته ومنطقته الاقليمية؟! ولماذا يلقى هذه المساندة من جماهيره، بينما لم ينجح في مصر أبدا أي حزب في استقطاب الجماهير، بحيث يلقى منها مثل هكذا مساندة على طريق تحقيق لحظة فاصلة على الساحة المصرية؟!، طبعا المستوى السياسي المقصود هنا وليس العسكري!

أولا: السياسة لا الجيش هي التي خذلتنا أمام اسرائيل:

لنقف هنا عند تلك الملاحظة الملفوفة في ورق التعميم (نجح مقاتلو حزب الله فيما فشلت فيه الجيوش العربية، نجح مقاتلو حزب الله في صد عدوان بربري من اسرائيل لأكثر من شهر فيما لم تصمد ـ الجيوش ذات العتاد ـ أكثر من ساعات أو بالكثير أياما، ستة!) هذه الملاحظة التي بالطبع تقصد الجيش المصري، اذ أن الفلسطينيين مثلا ليسوا جيشا وانما من يقاوم منهم فهو يقاوم من خلال حركة مقاومة، والجيش السوري لم يعتمد عليه كثيرا (المخيال الشعبي العربي) ذات يوم لانجاز نصر على اسرائيل أو لتحقيق الحلم الأقصى، ازالة الدولة الاسرائيلية، ولا ترقى (فرق الجنود) الأردنية تلك حتى الى وصفها بجيش ذي عتاد! وبالتالي هو الجيش المصري المقصود بتلك الملاحظة، وللعلم، الملاحظة ليست عربية فقط، نحن المصريين أيضا وأمام ذلك الصمود اللبناني العظيم مرت بذهننا الملاحظة، بل وقلناها، والمسألة ليست ادانة ذلك التلميح منا أو من غيرنا، المسألة أننا يجب ألا نستسلم لفكرة (الاستهانة بجيشنا) وأن نبدأ البحث الفعلي عن سبب نكسته في عام 67 والبحث عن سبب أدائه المميز في عام 73 والذي سيظل مميزا تاريخيا، ثم الأهم والأكثر الحاحا البحث عن سبب (تواريه) في المرحلة الحالية عن أداء دوره لا في خوض الحروب من أجل الآخرين، وانما في أداء دوره في أرضه مصر.

اللحظة الفارقة في حرب 73 كانت تتمثل في أن السياسة (في المرحلة الأولى من الحرب) كانت تخدم (أداء الجيش) فأبدى المقاتل المصري درجة من الفداء يستحقها وطن عمر أرضه وشعبه آلاف السنين، لم يكن أداؤه اذن محل شك أمام قوة عاتية اسرائيلية أمريكية، ثم هي السياسة في المرحلة الثانية من الحرب من تخاذلت، فلم يتم النصر بدرجة تتناسب وروح الفداء التي أبداها الجندي المصري المقاتل من رأس الجيش الى أصغر عساكره، وقبل ذلك في عام 67 كانت هي نفسها السياسة، والخلل فيها وبين أقطابها هي من كانت مسؤولة عن تلك النكسة، والتي يعايرنا بها التاريخ ونعاير بها أنفسنا في سلسلة لا تنتهي من (هزيمة الروح)، لكنها السياسة أيضا التي أعادت للجيش (شرفه) عندما عالج عبد الناصر خطأه وبدأ بناء جيشه من جديد، وخاض حرب الاستنزاف التي أنهكت اسرائيل أشهرا طويلة، وخاضها المقاتل المصري أيضا في ظروف صعبة وفي ظل تآمر من كل الجهات، لكنه استبسل في حرب الاستنزاف تلك لأن (السياسة) كانت وراءه حينها، لكن القدر بالطبع لم يمهل ناصر لاكمال (استفاقته ودعمه للجيش) التي خاضها بشرف وتفان حتى رحيله، هذه هي اذن و(السياسة وليس المقاتل المصري) من هزمتها قوة اسرائيل اللا أخلاقية، وعموما هذه ليست عودة للتاريخ أو استمرارا في مسلسل (هزيمة الروح) تلك، وانما فقط هي تخوف من (الاستسلام) لفكرة الاستهانة بالجيوش العربية ـ أي الجيش المصري! ثم هي محاولة من أجل البدء بالتفكير حقا في هذا الجيش مرة أخرى تفكيرا يختص بالمستقبل، جيشنا كيف هو، بل أين هو؟! السياسة الرخوة المخجلة للنظام الحالي هي التي قلمت أظافر ذلك الجيش فتوارى، لا يستطيع أن يتواجد في سيناء عوضا عن أن يحميها، لا نعرف عن تسليحه، لا نعرف عن ضباطه، والأخطر، لا نعرف عن عقيدته الحالية، من يلتحق بالجيش الآن من شباب عائلاتنا وجيراننا وزملائنا وأصدقائنا يحكون عن فترة (خدمتهم بالجيش) ما يقلق، تقنيا ومعنويا وقتاليا ومستقبليا، الجيش المصري جزء من مجتمعنا وضباطه من لحمته، فهل أصابته (رخاوة) السياسة؟! كيف ينعكس عليه هذا (الضياع السياسي المخزي) للنظام الحاكم الحالي؟! هذه التساؤلات ربما أثارتها في اللحظة الحالية نبرة (التهكم) المريعة التي تطال ذلك الجيش داخل وخارج مصر، لكنها حتى وبعد أن تهدأ سماء لبنان يجب أن تطرح في الساحة المصرية، يجب أن نتساءل علناً ترى كيف حال جيشنا والى أين المصير؟!

ثانيا: حزب الله قدم نموذجا لشروط نجاح حزب

مهما بلغ اعجابنا ببسالة مقاتلي حزب الله، فان آخر ما نتمناه هو قيام (حزب ديني) في مصر، هذا فقط للتقديم قبل الدخول الى مسألة نجاحه كحزب في لبنان وما يعنينا من تجربته بالنسبة الينا هنا في مصر، ففي مصر مازال التغيير الجذري ـ أي التغيير سياسيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا ـ ما زال حلما داخل رؤوسنا فقط! لا تشير الى قرب تحققه أي مؤشرات على الأرض سوى ـ ربما ـ حالة الغضب السلبي واليأس والانهاك التي تتبدى على وجه كل مصري بمختلف طبقات المجتمع بما يشير بأن (شيئا ما لابد أن يحدث)، لكننا لا نملك بعد فلسفة واضحة للتغيير ولا فلاسفة للتغيير ولا قوة حركية تسعى للتغيير ولا حتى رؤية ما ولو انتقالية للتغيير، نحن في مصر نمر بأسوأ مرحلة يمر بها شعب، مرحلة (اللاشيء) وكلما داعب خيالنا حلم التغيير كلما نظرنا الى الشعوب الأخرى التي سبقتنا بقليل أو بكثير من الوقت، كيف استطاعت تغيير أوضاعها، القاسم المشترك يتمثل في (حزب) أو (حركة) أو (مؤسسة ما) تبلور أحلام شعبها وتستند اليه وتشاركه حلمه و، تخطط لتنفيذ الحلم و، تشرك جماهيرها في التنفيذ، جاءت الحرب التي يخوضها باستبسال حزب الله في لبنان، ليطرح الحدث سؤالا: لماذا يتمتع حزب الله في لبنان بهذا الدعم الشعبي الرهيب حتى أن جماهيره التفت حوله رغم أهوال ما طالها من العدوان الاسرائيلي؟ لماذا يبدو هذا الحزب متماسكا الى حد أن الشعوب العربية الأخرى ـ وليست جماهيره فقط في جزء من لبنان ـ أعجبت به؟ عندما تدرس حالة حزب الله تجده حزبا يتوفر فيه (الشيء) الذي لا يتوفر أبدا لحزب مصري! أنه بين الناس، موجود بينهم، في بيوتهم ومدارس أولادهم ومستشفياتهم وأسواقهم ومواصلاتهم ومؤسساتهم الخيرية والاجتماعية وحفلات زواجهم ومراسم دفن موتاهم وغير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية لجماهيره، يصل اليهم عبر اذاعة وفضائية وجرائد خاصة به وبهم، زعيمه من بينهم يشبههم، أبناؤه مثلهم، واحد من أبنائه استشهد في مقاومة الاحتلال منذ سنوات.كما استشهد أبناؤهم، وأبناؤه الآخرون يشاركون الآن في القتال كما يشارك أبناؤهم، أمه وزوجته وأخواته وخالاته وعماته مثل الأخريات، تهدمت بعض بيوت أفراد عائلته فهجروا ونزحوا مثلهم مثل الآخرين، يبدو الرجل نظيف اليد عف اللسان واضح الرؤية ويتمتع بكاريزما خارقة، حتى أننا في مشرق ومغرب العالم العربي أخذنا به أيضا! رغم الاختلاف الفكري الكلي مع حزبه الديني، الحزب اذن حزب للناس ومعهم وبهم، وهذا سر نجاحه، صحيح أن المسألة لا يمكن أن تتم بدون توفر (مصدر التمويل) هذه حقيقة تكاد تكون ثابتة، لابد للحزب الذي يريد أن ينتشر الى هذا الحد بين الناس فيسيرون وراءه بهذا الحماس وتلك التضحية، لابد له (الى جانب صدق تعبيره عنهم طبعا فهذا هو الأساس) أن يمول وجوده بينهم بخدمات اجتماعية واقتصادية وثقافية، نحن لا نتطرق هنا لمسألة الجانب العسكري فهذا شيء يختص به حزب الله لأنه يقاوم احتلالا، لكننا نحلم هنا بحزب بهذا الانتشار لكي (يقاوم سلميا) الفساد الممثل في نظام اختطف البلد والمجتمع و(روح الشعب المصري)، وبالنظر الى الأحزاب الموجودة حاليا على الساحة المصرية لا تملك الا أن، تشعر بالغثيان والاشمئزاز من قادتها ومن سلوكها ومن عجزها وترفعها على الناس الذين تتحدث باسمهم كذبا، فهم لا يعرفونها أساسا ولا يعرفون أسماءها ولا أين توجد مقراتها ولا ماذا تريد أصلا!، صحيح أن جزءا من هذا العجز والفشل المثير للغثيان هو تضييق النظام الفاسد الحاكم بالفساد والبوليس عليها وعلى حركتها، وصحيح أنها كلها أحزاب تتسم بضيق ذات اليد لكن عيوبا أخرى قاتلة تنبع منها ذاتها، أولها هؤلاء الكهول بقايا الحرب العالمية الأولى الذين يرأسونها! وثانيها أنك لا تجد عضوا في حزب مصري يتحدث عن وجود خطة في برنامج حزبه تهتم بالنزول الى الناس في منفاهم داخل مدن وقرى مصر، لا تجد حزبا يتحدث عن خطة زمنية لتعريف الناس به بل لتعريف نفسه بهم، لا تجد حزبا مصريا يخرج من جحور المقرات، مقر الحزب ومقر الجريدة، هذه أحزاب فاشلة، لا يمكنها لا بلورة حلم شعبها ولا الوصول اليه ولا قيادة المجتمع نحو تغيير لا جزئي ولا جذري، ماذا اذن؟! هل توقفت الحياة في مصر؟! هل المستقبل بهذه القتامة؟! لا طبعا، فالزمن يمر على البشر سواء تراخوا أو نشطوا، وللزمن فعله، والشعب المصري ليس شعبا قفز الى العالم فجأة من عدم! انه شعب عريق ـ رغم ما يمر به الآن من رخاوة وعدمية واستغراق في متاهات الغيبيات ـ ولا يمكن أن يستمر حاله هكذا، لا يمكن أن يستسلم ليس فقط لاستهانة الآخرين به بل حتى لاستهانته بنفسه، لابد أن لحظة ما قادمة يخرج فيها من هذا التيه، لكن كيف؟!

نحن بالفعل نحتاج الى (حزب) تتوفر له مصادر تمويل (وهي ليست مستحيلة لكن مقالات الصحف ليست مجالا للنقاش على كل حال حول مصادر التمويل!) ليستطيع وضع خطة للانتشار بين الناس وربطهم به وربط نفسه بهم، حزب لا يفكر في البرلمان للسنوات الخمس القادمة!، بل يجعل تلك السنوات خطة زمنية لتعريف الناس به والتعرف اليهم، خطة تشتمل انشاء قناة تلفزيونية خاصة به ووسائل للتوغل في المدارس والجامعات والأسواق والمستشفيات، خطة تبلغ الناس بأن (يتهيئوا) للحظة ما قادمة يكونوا فيها على أتم استعداد للتكتل (عن وعي) بأن ذلك الحزب يمثل طوق نجاتهم بما يهدف اليه من أجلهم، لكن نقطة أخرى هامة في هذا الأمر تشير اليها بقوة كل تجارب الأمم الأخرى، وأحدثها حزب الله، وهي (ذلك الرجل) الذي تقدر أكتافه على حمل ذلك المشروع، لا تسارعوا بالاتهام التقليدي (هذه أحلام بديكتاتور أو بالمسيح المخلص أو بالقائد الملهم) الخ من تلك المسميات، الفرد في لحظة التغيير شديد الأهمية لكل الشعوب، نصر الله بالمناسبة ليس ديكتاتورا، هكذا تقول كل الأبحاث عن شخصيته ودوره، لكنه في تلك اللحظة الرهيبة في حياة شعبه (يقود) أمرا جللا! في مصر ليس من بين كل الظاهرين في الساحة من هو بقامة تنبئ أن أكتافه قادرة على حمل (مشروع تغيير) لكن مثل هذا النوع من الأفراد في التاريخ يكون رابضا في رحم الأيام، ولعله الآن اقترب من الصف الأول! والشعب المصري أدار ظهره لكل داعية تغيير ظهر مؤخرا لأنه بوعيه الجمعي لا يراه مناسبا، لكنه ينتظره على كل حال، يتطلع اليه في كل (فورة) ثم يكتشف أنه ليس من بين هؤلاء فينصرف عن الجميع! أيام (فورة القضاة) تصوره أحدهم، ثم لأسباب عديدة بدا أن قاماتهم ليست بما يكفي، لكن حزبا كهذا الذي حلمنا به، وقائدا كهذا وخطة كهذه لابد منهم مجتمعين، كي يبدأ مخاض مشروع التغيير الرابض في رحم المستقبل ولا تساعد (رخاوة وعدمية) الحالة المصرية الحالية أن تدفعه ليطلق صرخة الحياة!

* كاتبة من مصر
howayda5@hotmail.com

هل يكون الدم اللبناني ثمناً لتطهير الأمة من آثامها؟

عبد العزيز محمد الخاطر*

هل يمكن أن تنقلب الضارة إلى نافعة؟ هل يمكن أن تكون هذه الحرب المدمرة التي اتت على المدنيين أولاً بداية لعلاج أمراض الأمة المزمنة؟ هل يمكن أن تكون أرواح الشهداء والأطفال والنساء والمسنين هي ثمن تقارب أطياف الأمة واستشعارها جميعاً لأهمية المصير المشترك الذي يحتوي جميع تناقضات واختلافات الأمة في أيام الاسترخاء؟

إن الأمم الواعية لا تترك ازماتها واختلافاتها الداخلية سبباً في انهيارها.

إن الأمم الواعية هي التي تفرق بين مسألة الوجود ومسألة كيفية هذا الوجود.

لنرى الآن كيف يتعامل العرب مع هذه الأزمة المتمثلة في الاجتياح الإسرائيلي للبنان وتدمير بنيته الأساسية والتحتية بعد استبعاد جميع الحجج والتي لا يمكن القبول بها مقارنة بالنتائج المدمرة المشهودة.

أولى الملاحظات على هذه الرؤية هي: ـ اختلاط السياسي بالديني بمعنى أننا سياسياً مع المقاومة ولكننا لسنا مع «حزب الله». هنا يفرض الخلاف الإسلامي الأول نفسه وكلا الطرفين يتحملان جزءاً تاريخياً مهماً من المسؤوليه ومثل هذا الموقف حرم الأمة من الاجماع.

وهو جزء نازف من الجرح الأم في العراق حاليا المتمثل في الصراع السني ـ الشيعي الطائفي البغيض فالأمر يحتاج إلى معالجة تاريخية من الجذور ليبدو الإسلام ديناً للجميع.

الملاحظة الثانية: ـ انفصام القاعدة عن الرأس وهو أمر متكرر الحدوث ولكنه اليوم يبدو أكثر بشاعة والحالة الأبوية للأنظمة أكثر وضوحاً حيث هي التي تعرف ما يريده الشعب وتعرف مصلحته أكثر منه شخصياً، كذلك هي حالة فريدة في تاريخ الحروب العربية والإسرائيلة ان ما لم تعهده الأمة هو أن تشعر اسرائيل بحالة من الدفء من الجوار العربي في الوقت الذي تقاتل فيه بعضا من هذا الجوار.

الملاحظة الثالثة: ـ غياب القيادة أو القائد في ظل غياب الديمقراطية أصلاً وهذه حالة لم تشهدها أي من الشعوب المناضلة عبر التاريخ ولم ينتصر شعب دون وجود قائد أو «حالة قيادة» وفي ظل غياب الديمقراطية كما أشرت فلا بد من وجود أحد طرفي المعادلة دائماً لتحقق النصر.

من هذا كله يمكن الاستنتاج بأن محصلة هذه الحرب المدمرة سيكون فيها الايجابي لا محاله في ما يتعلق بالبعد الفكري والتاريخي اللازم لصياغة وتبلور مفهوم الأمة لأي من الشعوب والذي يأخذ اليوم فى حالتنا ابعاداً أخرى من التشتت لم تشهدها الأمة حتى بعد انشقاقها حول نفسها بعد كارثة اجتياح الكويت، فإسرائيل حالة خاصة دائماً في تاريخ الأمة وإمكانية الانسحاق والذوبان أمامها تطرح اليوم أمام الوعي العربي والإسلامي للمرة الأولى في تاريخه.

فالنتائج الإيجابية رغم مأساوية الموقف التي يمكن التنبؤ بها إذا صدقت النوايا وأيقن الجميع مصيرهم المشترك الذي لا يفرق بين عربي ومسلم ولا بين سني وشيعي، يمكن الإشارة إليها بالتالي أن ثنائية سني ـ شيعي ستبدو وبشكل آخر في عالمنا العربي والإسلامي بعد هذه الأزمة وبحكمة العقلاء من الجانبين حيث إمكانية الانتقال إلى حالة إسلامية أفضل ستكون من المؤمل فيه من نتائج هذه الحرب إذا كان لهذه الأمة عقل يفكر.

النقطة الأخرى: ـ إذا لم تدرك الأنظمة العربية خطورة انفصالها عن قاعدتها فالايام القادمة ستكون لها نتائج مدمرة عليها كأنظمة وحتى اليوم إذا ما سمح الله وتوسعت هذه الحرب على أكثر من نطاق فربما تواجه الأنظمة شعوبها لتبدو حالة انفجار العالم العربي من الداخل أكثر قرباً وتصوراً من ذي قبل.

الملاحظة الثالثة: ـ مبادرة الأنظمة العربية بالشروع فى التحول الديمقراطي وبارادتها لتحمي نفسها وشعوبها لأن الخطر لا يكمن اليوم في القوة العسكرية فقط فالصورة اليوم هي سلاح ضد الأنظمة كذلك، فالمجازر والقتل المفتوح وما تبثه وكالات الأنباء والقنوات الفضائية كل هذا الانفتاح الإعلامي والحرب المرئية كلها أدوات ضد الأنظمة غير الديمقراطية، ما يحرك الشعوب اليوم هو «الميديا المرئية» علينا أن نفهم ذلك، فهي سلاح الغير وإن كنا نبرع في استعماله ولكن إلى حين لأن الحقيقة ستظهر عاجلاً أم آجلاً. كل هذه الاثام التاريخية القديم منها والجديد تحتاج الى تكفير فهل يكون الدم العربي اللبناني هو الثمن الجديد اضافة لانهار الدم الفلسطيني الجارية التي لا تبدو قادرة على اخراج الامة من اغوائها حتى الان!

الأيام القادمة حبلى بالأحداث فاللهم اجعلها لصالح عبادك الموقنين.

* كاتب من قطر

قراءة في تداعيات الحرب الاسرائيلية على لبنان

د. فيوليت داغر*

الى شهداء لبنان أطفالا ونساء ورجالا وقفة اجلال. الى من دفعوا حياتهم فداء لوطنهم وغادروه على حين غرة من دون موعد، في يوم لم تشرق الشمس عليهم، تحية اكبار، علّ لبنان الغد يخلد ذكراهم ويستحق موتهم.

مشاهد الدمار والمجازر التي ترتكبها اسرائيل في لبنان، منذ أن بدأت بتاريخ 12تموز (يوليو) 2006 شن هجومها العدواني على أراضيه، تعدت ما يمكن أن يتصوره العقل أو تقوى طاقات البشر على احتمال فظاعاته. صراخ الأمهات والأطفال يملأ الآذان وصور اشلاء الضحايا، التي تنقلها لنا بالخصوص وسائل الاعلام المرئية والفضائيات العربية التي ما زالت تصل لعين المكان، لم تترك أحدا محايدا. الكثيرون من خارج لبنان لا يقوون على مفارقة التلفاز لمتابعة ما يجري. آلاف مؤلفة تخرج للشارع للتظاهر والتنديد بجرائم الحرب الاسرائيلية واسماع الصوت، علّ العالم اللاهي في عطلة صيف لم يسمع بعد دوي الانفجارات فيه. هناك من عنى بجمع المساعدات والأدوية لأهل هذا البلد وآخرون توجهوا اليه رغم صعوبات العبور للتضامن مع شعبه على الأرض ومعاينة الواقع عن كثب. للتعرف على وجهه الجديد بعد العدوان البربري الذي تعرض له، وهناك من عزم النية على القيام بمتابعات قضائية لنقل شكواه للمجتمع الدولي، ومطالبة الهيئات المختصة بتعويضه على خسائره ورفع دعاوى ضد المسؤولين الاسرائيليين عن الجرائم التي طالته.

لقد مضى اكثر من شهر منذ بدء العمليات العدوانية وما زال جيش الكيان الصهيوني يوسع هجماته البرية والبحرية استكمالا لمخطط القتل والتدمير والتهجير ضد لبنان وشعبه. ذلك بقرار ودفع أمريكي وتواطؤ دولي وتخاذل رسمي عربي، حيث لم يفض تضامن الأخوة بعد مرور 27 يوما من بدء العدوان لأكثر من انعقاد اجتماع على مستوى وزراء خارجية دون كبير جدوى. هذا التقاعس أو التواطؤ يتم تغطيته بارسال مساعدات طبية وغذائية ارضاء لأزمة ضمير أو لاسترداد ماء وجه أمام شعوب لم تعد تجد في غير قائد المقاومة رمزا لها.

في طلعات شبه يومية، ما برحت الآلة الحربية الاسرائيلية تغير على الجسور والطرق التي تربط المناطق والمدن والقرى، مقطعة أوصال لبنان وامكانية التنقل بين ربوعه. استهدفت البنى التحتية ودمرت بيوتاً ومباني ومناطق سكنية بكاملها. كما ضربت قطاعات مدنية وعسكرية للجيش اللبناني وهوائيات بث ووسائل اعلام بطاقمها وبنيانها وسيارات اسعاف ودفاع مدني. اعتقلت وخطفت وشنت حربا نفسية على المدنيين بالقاء المناشير التحريضية وتخريب السلم الأهلي والتحريض الطائفي والمذهبي. باختصار، ارتكبت اسرائيل بسادية لا مثيل لها جرائم حرب جسيمة حسب أحكام اتفاقيات جنيف الثالثة والرابعة والبروتوكولين الملحقين بها. كما لم تعر أهمية لمبدأ تناسب القوة أو التمييز بين المدنيين والمسلحين أو احترام قوافل الاغاثة والطواقم الطبية أو توفير الامدادات الغذائية والدوائية او ضمان المستلزمات الأساسية. هذا التدمير والقتل الوحشي لم يقابله تحرك مواز من المجتمع الدولي لايقاف جرائم العدوان الاسرائيلي ـ الأمريكي. أفكار ومشاريع وتحركات دبلوماسية واختلافات اوروبية ـ امريكية حول أولوية وقف اطلاق النار قبل البحث بحل أو العكس، لكن دون التوصل لحل. فالمعتدي يريد الوصول الى مجرى الليطاني، أو على الأقل تكوين منطقة عازلة بعمق عدة كيلو مترات من الناقورة غرباً وحتى كفركلا شرقاً يتم تسليمها فيما بعد للقوات الدولية المقترح تشكيلها.

اسرائيل تنتقم ممن تفترض أنهم يدعمون المقاومة في الجنوب والبقاع والضاحية الجنوبية. ومن وراء استهدافها لمناطق لا وجود فيها لمقاومي حزب الله تهدف لضرب وحدة الشعب اللبناني واثارة النعرات الطائفية وجعل المجتمع اللبناني ينفض عن المقاومة ويحملها المسؤولية فيما يجري. لكن هذا لم يحصل، بل تآزر اللبنانيون فيما بينهم واستقبلت المنطقة المسيحية مهجرين من الجنوب، كما وانعقدت قمة روحية اسلامية ـ مسيحية لكافة الطوائف اللبنانية في مقر البطريركية المارونية. في هذه القمة عبر المجتمعون عن وحدة الموقف اللبناني واعتبروا حزب الله شريحة أساسية من المجتمع اللبناني وأحد مقومات مقاومة الاحتلال.

كل ذلك على خلفية معارك ضارية على الأرض من قبل المقاومين الذين استطاعوا أن يكسروا مرة أخرى أسطورة الجيش الذي لا يقهر. لقد هزموا عنجهيته بقصفهم لمدنه ومواقعه العسكرية وتكبيده الخسائر التي يتكتم في الكشف عنها بابعاد الصحافيين عن أماكن عملياته واستهدافهم وتهديدهم. في بنت جبيل ومارون الراس ويارون وعيناتا والخيام والعديسة والطيبة وكفركلا وبعلبك وغيرها، سمحت المقاومة لأبناء الوطن والأمة برفع الرأس شامخا. جموع غفيرة من الوطن العربي تقتدي بمثلهم بعدما شربت الذل والمهانة حتى الثمالة على أيدي حكام جاثمين على صدورها لا يمثلون سوى طاقمهم.

لقد تجاوز عدد القتلى الألف شهيد، يضاف لأكثر من 3000 جريح، علاوة على ما يقرب من المليون نسمة نزحوا من مناطق سكناهم هربا من القصف. من هؤلاء 400 ألف نازح الى بيروت توزعوا على 350 مركزا وبقي 750 في العراء، يفترشون الأرض ويلتحفون السماء في أماكن عامة، مع نسبة كبيرة من أطفال لم يفتقدوا الحماية فحسب، بل الغذاء والدواء وبراءة الطفولة..

أما الذين هجروا أو هاجروا خارج الأراضي اللبنانية فنسبتهم كبيرة. هناك منهم من سيعود بعد وقف الأعمال الحربية أو استرداد السكن، ومنهم من سيبقى في الموطن الذي قصده عن قصد أو مكرها. بكل الأحوال، وان اختلفت الحالات وتعددت التصنيفات يبقى القاسم المشترك هو ما اختزنته الذاكرة من عنف وما ذخرت به النفوس من شعور بالغبن وانتهاك للحقوق.

وحيث أنه من الضروري دراسة تأثير هذا الانسلاخ المفاجئ عن الوطن وبظروف قاهرة من هذا النوع على مخزونات الفكر والنفس وعلى عملية انتقال ذلك للأجيال القادمة، لا بد من التوقف عند هذه الاشكالية ولو قليلا. خاصة وأن البعض لا ينظر اليها بأبعد من التخلي عن الواجب الوطني.

هذا الانسلاخ عن الوطن، أكان لفترة زمنية محددة أو أكثر، يضع الانسان بمواجهة الخسارة كمفهوم، مهما كان نوع هذه الخسارة. بمواجهة ذلك سيكون مطلوبا من اللبناني المهاجر التصدي لما فقده بالقيام «بعملية الحداد».

ربما يمر البعض بمرحلة يشوبها نوع من الغبطة لفترة زمنية قصيرة، بعدما تخلص من الجحيم الذي عاشه ومن الشعور بالانتصار على الظروف القاهرة التي لم ينج منها الآخرون. كما ويمكن للبعض أن يتصور البلد المستقبل بشكل ايجابي وأحيانا مثالي. لكن مع استمرار الأعمال الحربية والقتل والتشريد ومع مرور الوقت والتعرف على هذا الجديد، من المؤكد أن الصورة الايجابية للبلد المضيف ستبدأ بالتراجع لتحل مكانها حالة بعلاقة أكبر مع الواقع المعاش.

صحيح أنه لا يمكن تعميم المثل حيث كل حالة تبقى حالة خاصة، لكن هناك عوامل ستؤثر على تعاطي هذا المهاجر مع البلد المستقبل، من مثل سياسة البلد المضيف تجاه المهاجرين عامة أو اللبنانيين خاصة وفي هذه الظروف بالذات. حيث أن عملية احتضانهم والترحيب بهم بما يوفر لهم الشعور بالأمان ستخفف بالتأكيد من وطأة أيامهم ومن شعورهم بالذنب تجاه ذويهم والذين تركوهم لمصيرهم.

قد يكون هناك مؤسسات رسمية تعنى بهم لتسهيل عملية التعارف على المجتمع الجديد وثقافته والتفاعل معه دون صعوبات خاصة ان كان عامل اللغة عائقا في تحقيق ذلك. لكن ذلك قليل قياسا بما يفترض. وقد نجد أحيانا أطرافا من جمعيات المجتمع المدني يمكن أن تلعب دور الوسيط أو المسهل لعملية التأقلم وفهم الواقع الجديد وتعترف بالصدمة التي يعيشها المهاجر. لكن هذه الجمعيات تبقى عملة نادرة اجمالا.

علينا الاتكال على عامل الوقت لتتم عملية انتقال البلد ـ الحلم من البلد المستقبل للبلد الطارد. فالأرض الموعودة ستترك مكانها في الذهن والوجدان للأرض الضائعة، بما يؤكد على الدخول في مرحلة الحنين والأسى على موضوع الخسارة. هذه المرحلة المؤلمة والمكلفة نفسياً يمكن أن نشهد فيها سلوكات من نوع الهرب للأمام وترجمة المعاناة عند الأطفال أحيانا بأعمال عنفية، وبكل الحالات ما يمكن أن يسمح بالهرب أو التخفيف من الانتظارية اللامحتملة. فآلام الزمن والمكان كبيرة وهي تراوح بين طرفي الحاضر في المكان الحالي والماضي في المكان الضائع، خاصة عندما يكون هذا الماضي محملا بذكريات مؤلمة ومعاناة قاسية، بما سبب هذا التشرد والانسلاخ عن الوطن الأم، خاصة لو تضاعف بخسارة قريب أو حرمان من عزيز أو طرد من منزل أو اجبار على هجر الوطن.

هذا اللبناني المنسلخ حديثا عن الأرض التي أنجبته وبظروف قاهرة من هذا القبيل ستترافق معاناته مع الحنين للزمن الغابر حين كان طفلا يقبل على الحياة ويحلم بمستقبل واعد ببراءة وثقة بالغد. هذا الجانب النفسي الذي هو بعلاقة مع المكان الجغرافي يترافق ببعد آخر ذي أهمية كبيرة، ألا وهو لغة التخاطب مع الآخرين في البلد المستقبل والتي قد تختلف عنها أو لا تكون سهلة الاستعمال أو حتى غريبة. انها من المسائل التي ستترك تأثيرات على الذاكرة وعلى صورة الذات التي تشكلت بجزء منها مع لغة الأم. كذلك مع اللغة الأم التي هي بالتأكيد الشكل الأشد التصاقا بصورة الذات وبالتعبير عن الذات وتقديمها للغير.

لا ننسى أيضا أن هذا المهاجر لن يعاني من خسارة المحبوب أو الأهل أو الوطن أو كلاهما فقط، وانما سيواجه معضلة من نوع آخر. عليه أن يقبل أنه بات خسارة لذويه، بما قد يضاهي رمزيا فعل اللاعودة أو الوفاة. فالى أي حد سيتحمل من هاجر مواجهة هذه المعادلة؟

مع انقضاء الوقت والتأقلم شيئا فشيئا مع المحيط المستقبل سيصبح هذا اللبناني الذي كان في البداية غريبا عن البلد الذي استضافه، غريبا من جديد في بلده لو عاد لقضاء عطلة أو للعيش فيه. حيث أنه تغير بنظر الغير كما تغير الآخرون بالنسبة له، والمسافة بين الطرفين قد تكون كبيرة. بما يجعله يطرح تساؤلات عن هويته وانتمائه لبلده الأم وجدوى العيش فيه. فهو قد جاوز الآخرين الذين تركهم ربما بشق طريق أفضل مما كان متوقعا له لو بقي معهم. اضافة الى ما كسبه من خبرات وثقافة سمحت له باغناء شخصيته وبانفتاحه على العالم الواسع انطلاقا من هذه الهجرة. مما غير مثله وقيمه وصورته عن نفسه وطريقته في التعامل مع الحياة. لكن العكس قد يكون صحيحا أيضا، أي أن يشعر هذا اللبناني المغترب بأنه بات أكثر وطنية أو التصاقا ببلده الأم وبكل ما يعني ذلك من التزام بقضاياه. فتسقط الأقنعة عن الأوهام التي كان يحملها عن الآخر وبلد المهجر والعالم. ربما هو بحاجة للتأكيد على أنه لم يخن أهله ووطنه ولم يقترف خطيئة عندما تركهم لمصيرهم وهاجر بعيدا عنهم.

انه غيض من فيض مما ستعيشه هذه الفئة من اللبنانيين التي تشردت في أوطان الاغتراب. وهذا لا يعني أن المغترب سينسى واجبه في معركة التعريف بما يحدث في بلده. لقد لوحظ أن الشعور بأهمية الوطن يزداد قوة بعد الاغتراب عنه. والأمل كبير بأن يصبح من هاجر من اللبنانيين سفراء لبلدهم ملتزمين باعادة بنائه.

* رئيسة اللجنة العربية لحقوق الإنسان

محكمة دولية خاصة لمحاكمة مجرمي الحرب الاسرائيليين

د. أنيس مصطفى القاسم*

■ نشر الاستاذ فرانسيس بويل، أستاذ القانون بجامعة الينوي الامريكية، مؤخرا مقالا يدعو فيه الجمعية العامة للامم المتحدة لانشاء محكمة دولية خاصة، كهيئة من هيئات الجمعية، لمحاكمة مجرمي الحرب الاسرائيليين، على غرار المحكمة التي أنشأها مجلس الأمن لمحاكمة مجرمي الحرب في يوغوسلافيا السابقة. واستند في دعوته هذه على المادة 22 من ميثاق الأمم المتحدة التي تنص على أن «للجمعية العامة أن تنشئ هيئات تابعة لها حسبما تراه ضروريا للقيام بوظائفها». وواضح أن الاستاذ بويل تعمد تجنب مجلس الأمن لأن اقتراحا من هذا القبيل سيصطدم حتما بالفيتو الامريكي، وربما بفيتو دول أخرى من الأعضاء الدائمين في المجلس.

اننا نؤيد هذه الدعوة، وقد سبق لنا أن دعونا على صفحات هذه الجريدة الى ضرورة محاكمة مجرمي الحرب الاسرائيليين، بحيث يشعرون أن القانون سيطالهم وأنهم لن ينجوا من العقاب، وأشرنا فيما كتبناه الى اجراءات قضائية اتخذت في بريطانيا وغيرها أمام المحاكم الوطنية للتحقيق مع جنرالات اسرائيليين وجهت لهم تهم ارتكاب جرائم ضد الانسانية في حق الفلسطينيين، ولكنهم استطاعوا النجاة حتى الآن بسبب تسرب الاخبار اليهم بصدور أوامر القبض والتحقيق. وكانت نتيجة هذه الاجراءات أن أصدر المستشار القانوني للجيش الاسرائيلي تعليمات للجنرالات بتجنب السفر الى الخارج خوفا من هذه الملاحقة القانونية. وبالفعل فقد ألغى جنرالات رحلاتهم هذه، حتى أولئك الذين كانوا على وشك الالتحاق بكليات عسكرية عليا أو لجمع تبرعات للجيش الاسرائيلي. وبالرغم من أن القضاء الاجنبي قد تحرك، الا أن النيابات العامة في الأقطار العربية التي يتردد عليها الزعماء الاسرائيليون لم تتحرك حتى الآن للتحقيق معهم وتقديمهم للقضاء، أسوة بما حصل في دول أجنبية حكوماتها ليست متعاطفة مع الفلسطينيين.

التحرك القانوني الوحيد حتى الآن الذي نرجو له أن يصل الى نهايته ونرحب به هو ما قام به مؤخرا ثلاثة من المحامين المغاربة الممتازين بتقديم شكوى للنائب العام المغربي للتحقيق مع وزير الدفاع الاسرائيلي الحالي ومحاكمته في المغرب، حيث أنه يحمل الجنسية المغربية، في جرائم حرب وجرائم ضد الانسانية وجرائم يعاقب عليها القانون المغربي. هذه مبادرة محمودة يهنأ عليها الزملاء المغاربة ولا نشك لحظة في أنهم سيتابعونها بكل همة ونشاط، ونرجو أن تشجع المحامين العرب في الاقطار العربية التي يزورها قادة اسرائيليون على اتخاذ مبادرات مماثلة، اذ لا يجوز اطلاقا أن تبقى الارض العربية مباحة أمام هؤلاء في حين أنهم يخشون أن تطأ أقدامهم أرضا أجنبية.

غير أن ما يدعو اليه الاستاذ بويل يتجاوز حدود المحاكم الوطنية، فهذه المحاكم مختصة على أي حال في معظم الاقطار، ولكنها لا تستطيع ممارسة اختصاصها الا وفقا لقوانينها المحلية. فالذي يدعو اليه هذا الاستاذ الامريكي هو محكمة دولية خاصة تكون دائمة الانعقاد ولها ما يكفي من الصلاحيات، تمشيا مع سوابق في هذا الشأن، وان كان الذي قام بانشاء هذه المحاكم هو مجلس الأمن وليس الجمعية العامة. وفي رأينا أن هذه الدعوة لها سند قوي في المادة 22 من ميثاق الامم المتحدة وغيرها من المواد التي تتحدث عن اختصاصات كل من مجلس الأمن والجمعية العامة. وقد سبق لنا في مقال نشرناه في «القدس العربي» بتاريخ 1 آب (أغسطس) 2006 أن حللنا اختصاص كل من الهيئتين في صون الامن والسلام الدوليين تحت عنوان «الامم المتحدة ليست فقط مجلس الأمن» استنادا للفتوى التي أصدرتها محكمة العدل الدولية في قضية الجدار الذي أقامته وتقيمه اسرائيل في الاراضي الفلسطينية المحتلة وبحثت فيها المحكمة هذا الاختصاص. فقد أوضحت المحكمة أن اختصاص صون السلام والأمن الدوليين ليس مقصورا على مجلس الأمن، وانما تشاركه فيه الجمعية العامة، وأنه يدخل في اختصاص الجمعية العامة أن تتخذ ما تراه من قرارات في هذا الشأن، حتى ولو كان الموضوع مطروحا على مجلس الأمن، وعلى وجه الخصوص اذا كان مجلس الأمن قد فشل في اتخاذ ما يلزم من اجراءات نتيجة للتصويت السلبي لعضو دائم من أعضائه. واستنادا الى هذا التفسير من الجهة المختصة به، وهي محكمة العدل الدولية، فان بالامكان اللجوء للجمعية العامة بطلب تشكيل هذه المحكمة الدولية الخاصة.

ولقد سبق لمؤتمر قمة عربية أن اتخذ قرارا بملاحقة مجرمي الحرب الاسرائيليين، غير أن هذا القرار، كغيره من قرارات مؤتمرات القمة ،لم يجد طريقه للتنفيذ. ويبدو أن علينا أن نتجه لدولة أجنبية كفنزويلا فهي ستكون حتما أسرع للاستجابة لتبني هذه الدعوة، ونخشى أن تتبناها ايران فتنهال عليها فتاوى التكفير ممن لا يتقون الله في دينهم وأمتهم.

* رئيس اللجنة القانونية في المجلس الوطني الفلسطيني سابقا

نصر يريدون إهداءه إلى إسرائيل!

جواد البشيتي*

■ بعض خصوم، أو أعداء، «حزب الله» من القيادات والقوى السياسية اللبنانية فضلَّوا الإقرار والاعتراف، حتى قبل «التوقُّف الكامل للأعمال الحربية»، بأنَّ الحزب قد انتصر (عسكريا وميدانيا) ولكنَّهم تساءلوا، تساؤل الذي له مصلحة في التشكيك في لبنانية دوافع وأسباب العمل العسكري الذي قام به «حزب الله» والذي «أدَّى إلى» شن إسرائيل لحربها على لبنان، عن الجهة التي إليها سيهدي الحزب هذا النصر الذي أحرز. في تساؤلهم إنَّما أرادوا أن يقولوا إنَّ «حزب الله» سيهدي نصره العسكري إلى «أوليائه» في إيران (وسورية) ولن يهديه إلى لبنان. ولو سُئِلوا كيف يمكن ويجب أن يكون إهداؤه النصر إلى لبنان لانتهت كل إجاباتهم إلى ما يشبه دعوة الحزب إلى الانتحار السياسي والشعبي، فَهُم إنَّما يريدون السطو على هذا النصر، ثمَّ إهداءه إلى المهزومة إسرائيل، وإلى أرباب قرار مجلس الأمن الدولي الرقم ,1559

هُم الآن، أو من الآن وصاعدا، سيخاطبون اللبنانيين قائلين: الأعمال الحربية توقَّفت. الجيش الإسرائيلي يحتل أجزاء من الأرض اللبنانية جنوب نهر الليطاني. لا بدَّ من «تحريرها». ولكنَّ إسرائيل، المسلَّحة بقرار مجلس الأمن الجديد الرقم 1701، لن تُخْرِج جيشها من تلك الأجزاء وتعيده إلى ما وراء «الخط الأزرق» إلا «بعد» انتشار الجيش اللبناني وقوة «اليونيفيل» الجديدة في الجنوب. ولكنَّ الجيش اللبناني (ومعه تلك القوة الدولية) لن ينتشر إلا «بعد» أن تخلو المنطقة ما بين «الخط الأزرق» ونهر الليطاني من كل «سلاح غير شرعي» و«مسلَّح غير شرعي».

وإذا رفض «حزب الله»، وينبغي له أن يرفض، الاستخذاء لهذا الشرط الإسرائيلي القلْب سيقولون في الجزء الثاني من خطابهم: أُنْظروا، ها هو «حزب الله» يقف ضد الجيش والشرعية اللبنانية، ويقف ضد حق لبنان في «تحرير» ما احتلته إسرائيل من أرضه في حربها الأخيرة عليه، ويتحمَّل، بالتالي، مسؤولية بقاء واستمرار هذا الاحتلال.

أمَّا إذا فتح «حزب الله» النار على هذا الاحتلال الإسرائيلي فسيقولون في الجزء الثالث والأخير من خطابهم: لقد خرق «حزب الله» قرار «الوقف الكامل للأعمال الحربية»، محرِّضا، بالتالي، آلة الموت والدمار الإسرائيلية على استئناف عملها في الجنوب وفي سائر لبنان. وعندئذ، قد يُصْدِر مجلس الأمن الدولي قرارا جديدا يستند إلى الفصل السَّابع من ميثاق الأمم المتحدة.

إذا لبَّى «حزب الله» ذاك الشرط، الذي هو إسرائيلي القلْب، فسوف يقوم الجيش اللبناني المنتشر في تلك المنطقة، وبالتعاون مع قوة «اليونيفيل» الجديدة، بتفتيش البيوت هناك بيتا بيتا بحثا عن أسلحة وذخائر «غير شرعية». وبعد ذلك، تبدأ المرحلة الثانية من عملية «تفكيك» الحزب الذي هَزَم الجيش الذي لا يُقهَر، فلا أسلحة وذخائر جديدة يمكن أن يتلقاها «حزب الله»، برا وبحرا وجوا. ومع إنجاز المرحلتين الأولى والثانية، يصبح ممكنا إنجاز المرحلة الثالثة والأخيرة وهي تنفيذ (أو استكمال تنفيذ) البند الخاص بسلاح «حزب الله» من قرار مجلس الأمن الرقم 1559، فلمَ يظل الحزب محتفظا بسلاحه وقد انتشر الجيش اللبناني في الموقع الجغرافي للمقاومة؟!

«حزب الله»، ومعه لبنان وشعبه، يحتاج إلى شيء من «الهدنة»، أو «شبه الهدنة»؛ ولكنَّ هذا الاحتياج لا يعني، ويجب ألا يعني، التأسيس لوضع يتخلى فيه «حزب الله» عن مقاومته، سلاحا وموقعا، فبقاؤه في الحال العسكرية والقتالية التي بفضلها هُزِمت إسرائيل عسكريا شرَّ هزيمة هو خط أحمر ينبغي للحزب ألا يتجاوزه في أي حال. إنَّ القرار «الدولي» الذي وُلِدَ في نيويورك يجب أن يموت ويُدْفن حيث يتوفَّر أربابه على إقامة «المنطقة الأمنية المنزوعة المقاومة، سلاحا ورجالا». وأحسب أنَّ الحرص الحقيقي على لبنان يمكن ويجب التعبير عنه بالدعوة إلى الاستمساك بهذا «السلاح» الذي هَزَم إسرائيل، وبتقويته، فالجيش اللبناني مهما قوي وتعزَّز وتسلَّح لن يفعل، في الدفاع عن لبنان، أكثر مما فعل في ثكنة مرجعيون، فهذا الجيش لا يلبِّي حاجة قتالية قومية، وإنَّما حاجة سياسية داخلية. ولو أريد للبنان أن يظل محتفظا بالنصر لاختار لجيشه دورا مُكمِّلا ومساعدا لدور «حزب الله»، فلا يُجرِّب المجرَّب، ولا يتخلى عن المجرَّب، إلا كل ذي عقل مخرَّب!

لقد أعْجَزَ «حزب الله» جيش إسرائيل عن هزيمته، وهَزَمَهُ، فهل بعد ذلك يخشى أولئك الذين جُبِلوا سياسيا وفكريا على «خشية إسرائيل»؟!

إسرائيل هُزِمت في الميدان؛ وكل من يرى رأيا آخر إنَّما هو من أولئك الذين يطلبون دليلا على وجود النهار. أمَّا الولايات المتحدة فتريد أن تقول عبر قرارها «الدولي»: بفضل نفوذي العالمي والعربي واللبناني، ستنتصر إسرائيل سياسيا ولو هُزِمت عسكريا!

فَلْتُهْزَم في قولها هذا!

* كاتب ومحلل سياسي فلسطيني ـ الاردن